التعصب ودوره في تهديد وحدة المجتمع
(رؤية وصفية تحليلية لعوامل تكوّن ظاهرة التعصب وآثاره)

د.حنان أحمد مكاوي
أستاذ مشارك
جامعة الدمام ـ السعودية

مستخلص البحث

تعتبر ظاهرة التعصب من الظواهر القديمة التي عرفتها الانسانية ؛نتيجة للتمايز الديني واللغوي والعرقي ، لكنها اليوم أصبحت تفرض وجودها على واقع المجتمع المعاصر نتيجة للأساليب العنيفة التي أصبحت تستخدم في التعبير عنها ، وللنتائج التي عمقت من الاختلاف والرفض للآخر بين الشعوب والثقافات.لا نستطيع فعلياً أن نتحدث عن التاريخ الذي ظهر فيه التعصب في إطار التفاعل الإنساني، لكن من المؤكد أننا نستطيع تحديد أهم النتائج التي تترتب عليه فالتعصب يعتبر أحد مسببات التفكك الاجتماعي .يشير التعصب إلى تبني أفكار سلبية عن الآخرين دون تبرير لذلك .كما يجعل الفرد أسيراً لهذه الأفكار عاجزاً عن تمحيصها، والتأكد من صحتها .

استخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي لتحديد الظاهرة،ووصف طبيعتها، والعلاقة بين متغيراتها. اختلفت الرؤى حول تفسير هذه الظاهرة، بين مدرستين: النفسية التي تتناول أنماط الشخصية بكل جوانبها: الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية ، و الاجتماعية التي تركز على عملية التنشئة الاجتماعية .

هدفت الورقة للإجابة عن التساؤلات الآتية :

1. ما علاقة التنشئة الاجتماعية بوجود أنماط من الشخصيات تميل للتعصب؟
2. ما الآثار السالبة المتوقعة لسيادة ظاهرة التعصب بين أعضاء المجتمع الواحد؟

توصلت الورقة للنتائج التالية :

1/يعتبر التعصب موقفاً يتخذه الفرد مع أو ضد أفكار أو أشخاص أو موضوعات ، وهو يتكون خلال عملية التنشئة الاجتماعية عن طريق امتصاص مواقف الناضجين حول الفرد .

2/التعصب من الظواهر القديمة التي عرفتها الإنسانية بمختلف صورها،وترتب عليها العديد من الحروب والصراعات.

3/يعتبر التعصب من أخطر مهددات التكامل الثقافي والوحدة والتوافق النفسي وبالتالي هو واحد من أهم مهددات استقرار المجتمع الإنساني .

4/يحتاج التعصب كظاهرة للوقوف عليه ومعالجته، ويتطلب هذا الأمر الاعتراف بوجوده.

مقدمة :

تعتبر ظاهرة التعصب من الظواهر القديمة التي عرفتها الانسانية ؛ نتيجة للتمايز الديني واللغوي والعرقي ، لكنها اليوم أصبحت تفرض وجودها على واقع المجتمع المعاصر ؛نتيجة للأساليب العنيفة التي أصبحت تستخدم في التعبير عنها ، وللنتائج التي عمقت من الاختلاف والرفض للآخر بين الشعوب والثقافات.فهي من الظواهر التي تستوجب دراستها ، وتحليلها والتعرف على مصادرها ؛لأنها من الظواهر التي تؤثر على تماسك المجتمعات .

يظهر التعصب في صور عديدة : عرقية ودينية وسياسية وفكرية.وترتبط خطورة التعصب بتأثيره على التكامل الثقافي ،الذي يفترض وجود قدر من الانسجام الداخلي ، والارتباط الوظيفي بين عناصر الثقافة .ويؤدي عدم وجود هذا التكامل لاضطراب العلاقات بين الأفراد ، ولفقدان المجتمع كفاءته ؛ فيترتب على ذلك ظهور أنواع من الصراع تؤدي لفقدان التكيّف داخل الجماعة.

وإذا كانت معظم المفاهيم الاجتماعية مختلف حول تعريفها، فإن التعصب من المفاهيم المركبة المختلف حول تعريفها . ويشير التعصب إلى تبني أفكار سلبية عن الآخرين دون تبرير لذلك.كما يجعل الفرد أسيراً لهذه الأفكار، عاجزاً عن تمحيصها والتأكد من صحتها . على الرغم من قدم الظاهرة إلا أن تطورها ونموها، وتفاقم آثارها على كل المجتمعات على اختلاف أنواعها، يجعلها موضوعاً متجدداً.

وتتمثل المشكلة التي تتناولها الورقة في تحليل ظاهرة التعصب، في ضوء وجهتي النظر الاجتماعية ،التي تربطها بعملية التنشئة الاجتماعية والنفسية بالمرض النفسي .

أهمية موضوع الورقة :

اختلفت الآراء حول تفسير ظاهرة التعصب ،لكنها اتفقت في الآثار السالبة التي تترتب عليها ، وذلك يؤكد أهمية تناولها بالدراسة والتحليل .

أهداف ورقة العمل :

تتجه ورقة العمل لتحليل ظاهرة التعصب ،في المجتمع الانساني، وذلك من خلال :

1. تحديد مفهوم التعصب .
2. تتبع وجود الظاهرة تاريخياً.
3. تحليل وجود الظاهرة وفقا للنظريات النفسية ، والرؤية الاجتماعية .

وبالتالي تتناول ورقة العمل الموضوعات التالية :

- مفهوم التعصب وأنواعه .
- تناول تاريخي لنشأة الظاهرة ، والنتائج التي ترتبت عليها.
- التحليل النفسي الاجتماعي لوجود ظاهرة التعصب في التفاعل الاجتماعي

اسلوب المعالجة المنهجية :

تستخدم الباحثة المنهج الوصفي التحليلي؛ لتحديد الظاهرة ،ووصف طبيعتها، والعلاقة بين متغيراتها .

تساؤلات الورقة :

تحاول الورقة أن تجيب عن التساؤلات الآتية :

1. ما علاقة التنشئة الاجتماعية بوجود أنماط من الشخصيات تميل للتعصب ؟
2. ما الآثار السالبة المتوقعة لسيادة ظاهرة التعصب بين أعضاء المجتمع الواحد؟

محتويات الورقة :

تتناول الورقة ظاهرة التعصب بالتحليل في ضوء النقاط التالية :

أولاً : تعريف ظاهرة التعصب وأشكاله .

ثانياً : بروز ظاهرة التعصب تاريخياً ونتائجها .

ثالثاً : التحليل النفسي الاجتماعي لظاهرة التعصب .

- التعصب والشخصية في التحليل النفسي.
- التعصب والتنشئة الاجتماعية .

أولاً: تعريف ظاهرة التعصب وأشكاله

تعددت تعريفات ظاهرة التعصب بتعدد من تناولوها بالدراسة والتحليل، شأنها في ذلك شأن كل المفاهيم الاجتماعية المتعلقة بالمجتمع الإنساني . ويرتبط تعدد التعريفات بتعدد المنطلقات في تعريف الظاهرة، وبتعدد الأسباب التي تؤدي لوجودها ،وبتعدد المظاهر التي تعبر بها عن نفسها .

ترجع كلمة "التعصب" في الأصل للاتينية،وهي تعني :الحكم المسبق [1] ، لذلك يعرّف " كلينبرج" التعصب بأنه : "أحكام مسبقة غير قائمة على دليل، توجه إلى شخص أو جماعة محبوبة أو غير محبوبة ،مع الميل إلى القيام بسلوك يتفق مع هذه الأحكام " . كما يعرّفه " البورت " بأنه : "التفكير السيئ عن الآخرين، دون وجود دلائل كافية" . و يرى الكثيرون أن التعصب يبتعد عن التفكير المنطقي والموضوعي، وتطغى فيه الذاتية ،مما يؤدي لتشويه وتحريف المواقف التي تعبر عنه، ويترتب على ذلك إعاقة التكيف والتوافق الشخصي والاجتماعي . [2]

ويعرّف التعصب أحياناً من خلال محتواه فيعرّفه "البورت" بأنه "شعور الفرد بكراهية مبنية على تعميم خاطئ وجامد يوجه نحو جماعة معينة ككل ،أو نحو أفراد معينين ؛لأنهم أعضاء في تلك الجماعة". ويعرّفه " نيو كومب" وآخرون "بأنه اتجاه بعدم التفضيل ، يمثل استعداداً للتفكير والشعور والسلوك بأسلوب مضاد لأشخاص آخرين ، لكونهم أعضاء في جماعة معينة " [3].

أحياناً يعرّف التعصب من خلال مسبباته و محتواه ونتائجه فيعرفه " إسحاق " بأنه "غلو الشخص في اعتقاد الصحة بما يراه ،حتى يحمله ذلك الى اقتياد الناس بالقوة لرأيه "[4].

ويعرف قاموس علم الاجتماع التعصب بأنه " غلو في التعلق بشخص أو فكرة أو مبدأ أو عقيدة ،بحيث لا يدع مكاناً للتسامح ، وقد يؤدي إلى العنف والاستماتة " [5].

عموماً يمكن القول إن التعصب هو نزوع للتفرقة بين الناس ،على أساس الدين أو العرق أو اللون أو اللغة أو الوضع الاقتصادي ، [1] بحيث تميل ظاهرة التعصب في

---

(1) عبير سهام مهدي ، التعصب في الفكر الصهيوني ، دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق، سوريا ،2012 م ، ص24.

(2) مُحَمَّد محمود عبد النبي ، التعصب وعلاقته ببعض ابعاد التوافق لدى عينة من الطلاب السعوديين ، مجلة كلية التربية بالفيوم ،2007م ، ص224-227.

(3) مأمون طربية ، السلوك الطائفي : الانجذاب والنفور تجاه الآخر ، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان ،2014 م، ص84.

(4) مُحَمَّد عبد النبي، مرجع سابق ، ص 227

(5) سعد رغيان الشريع ، تحديات التعصب وخلفياته الثقافية في المجتمع الكويتي : آراء عينة من طلاب جامعة الكويت، مجلة العلوم الإنسانية والادارية، 2012 م ، ص13-78.

طابعها العام، لتقبل أو عدم تقبل الآخر ،على أساس مجموعة من المحددات الذاتية .وهو استعداد للاستجابة ضد أو مع جماعات أخرى ،مع تميزه بعدم المنطقية ،وعدم العدالة وعدم التسامح، ويكون مصحوباً بأفكار جامحة، تتبعها بعض السلوكيات المساندة لهذه الأفكار [2] . وهو أيضاً اتجاه نفسي جامد ،مشحون انفعالياً، مع أو ضد جماعة ،أو شيء لا يقوم على سند، أو معرفة كافية ،أو حقيقة علمية [3].

يميز بعض الباحثين بين (التعصب الفردي) و (التعصب الجماعي) . الفردي: يتخذ طابع التشنج المفرط في الموقف والسلوك ،أما الجماعي فهو :الذي يرتبط بالانتماء لجماعة تصبح هي مرجعية تحديد الهوية والوجود للشخص المتعصب .والفرق بين الاثنين يقوم على أساس الأثر المترتب على كل منهما؛ فالتعصب الفردي لا تتعدى اثاره إلى المجتمع.

يميز " معن خليل العمر " بين التحيز الاجتماعي والتعصب ،فالتحيز يعني:الموقف العاطفي (المتصلب أو المرن)الذي يعكس استعداد اً للاستجابة نحو المحفزات قد تؤدي للتعصب . أما التعصب فهو ينطوي على التعامل التفضيلي، القائم على أسس جائرة وغير منصفة . فالتعصب يكشف عن السلوك الظاهري لعملية التفاعل الاجتماعية ،بينما يكشف التحيز الموقف الباطني الذي يتضمن الدافع النفسي الذاتي . ويؤكد " معن" أن التحيز يتضمن ايضاً الحكم الخاطئ على الآخرين والفكر التفضيلي الذي يشوه الحقائق[4].

أياً كان تعريف التعصب فهو لا يخرج عن مجموعة من الحقائق:

- التعصب هو نزوع للتمييز بين الناس ،من حيث التقبل أو الرفض ،بناء على أسس يختارها الشخص المتعصب ،قد تكون عرقية أو اقتصادية أو دينية أو غيرها.
- يبتعد التعصب عن الموضوعية، وتغلب عليه الذاتية، ويرجع ذلك باعتبار أنّه موقف سابق لا يقوم على حقيقة .
- يشتمل التعصب على شحنة انفعالية ،وفي الغالب يترتب عليه سلوك .
- يميل السلوك المترتب على التعصب للعنف واستخدام القوة .

---

(1) مُحَمَّد محمود عبد النبي، مرجع سابق ، ص224.

(2) نفس المرجع السابق ،ص 227.

(3) نصرة النور على ، التعصب الديني (جذوره أسبابه علاجه) جامعة أم درمان الإسلامية، 2011م رسالة دكتوراه ،ص 21-22.

(4) معن خليل العمر ، التفكك الاجتماعي ، دار الشروق للنشر والتوزيع 2005 م، ص 152-155.

- يتسبب التعصب في اعاقة التكيف والتوافق بين الافراد والجماعات في المجتمع الواحد.
- يمكن أن نعرّف التعصب على أنه موقف يتخذه الفرد مع أو ضد موضوع التعصب ، وأنه لا يقوم على أساس منطقي، وفي الغالب مشحون بشحنه انفعالية ،مما يؤكد أنه متعلم ومكتسب يؤدي في معظم الاحيان لظهور سلوك يعبر عن هذا الموقف، وبما أنه لا يقوم على أسس منطقية ،ففي الغالب يميل الشخص المتعصب لاستخدام العنف والقوة، في الدفاع عن ما يتعصب له.

لا يكتمل تعريف التعصب دون ذكر صوره العديدة التي يتخذها ،فهو قد يكون عنصرياً، كالتعصب الموجود في بعض الدول ضد آخرين بناء على اللون أو الجنس، كما هو في جنوب أفريقيا، وفي إسرائيل ، وفي الولايات المتحدة . ويجب الإشارة هنا لتفرقة بعض الباحثين بين مصطلحي (العرقية) و(العنصرية)،على أساس أن العرقية مصطلح يشمل العنصرية داخلة ؛لأنه يعبر عن فروق عديدة منها العنصر. ويؤكد " معن" أن (التحيز) و(التعصب) ظاهرتان توجدان في كل المجتمعات، ويظهران بشكل واضح في موضوع العلاقات العرقية والقومية والطائفية.

والتعصب قد يكون طبقياً يقوم على الأساس الاقتصادي، وما يترتب عليه من أوضاع اجتماعية ،مثل تعصب طبقة العمال ضد الطبقة الرأسمالية .

وقد يكون التعصب دينياً أيضاً ، كما نجده عند اليهود وعند الطوائف العديدة في المسيحية حتى في الإسلام مثلاً بين الأصولية والمتصوفة.

تتنوع صور التعصب لتعدد جوانب حياة الإنسان ، ولتنوع التفضيلات في كل جانب ولأن الإنسان كائن اجتماعي بطبعه لا يستطيع إلا أن يعيش في جماعة. وواحدة من أهم شروط الجماعة لتتقبل الأفراد داخلها هو التماثل مع تفضيلاتها الثقافية ،التي تقوم على تحديد الفروق بين الجماعات المتعددة .

ثانياً : بروز ظاهرة التعصب تاريخياً:

عرفت الإنسانية على مر العصور، أشكالاً عديدة للتعصب ،ارتبط معظمها بالبعد الاجتماعي في أشكاله وصوره المتعددة . والتعصب - في إطاره العام - هو التمييز بين الأفراد بتقبل البعض، وعدم تقبل الآخر ،بناء على أساس محدد يكون هو محل التفضيل أو عدم التفضيل . وتتفاوت الآثار المترتبة على هذا الموقف من مجرد الرفض ،حتى تصل مرحلة القتل والإبادة .

إن أقدم أشكال التعصب ارتبط بالعنصرية التي تفرق بين البشر [1].
والعنصرية مجموعة كبيرة من الجنس البشري ،تتميز بأنها سلسلة ممتدة ومستمرة ،تتسم بتكرار حدوث عدد كبير من خصال الجسم الوراثية داخل الجماعة ،وعادة ما تكون خصال مرئية . وكما ذكرنا ، يفرق بعض العلماء بين العنصرية والعرقية على أساس أن العرقية هي : وجود بعض أقسام من السكان يستندون في وجودهم الاجتماعي، إلى وحدة النسب والثقافة واللغة والتقاليد والأصل القومي ، كما تتميز الجماعات العرقية بالاشتراك في بعض المشاعر والأفكار والميول السلوكية والمصالح والمصير. أما العنصرية فتقتصر على الصفات الجسمية [2]. يقوم التمييز العنصري على أساس لون البشرة والشعر والأنف وغيرها من المميزات الجسمية . وتعتبر الدول الاستعمارية هي صاحبة التفرقة العنصرية ، حيث تنحدر هذه الدول من مجموعة الأجناس القوقازية خاصة الجنس الألبي والجنس النردي وهو من يزعم تفوقه العنصري على الأجناس الأخرى [3].

هناك وثيقة للأمم المتحدة تزعم أن الحضارة الفرعونية هي أول من استخدم التمييز العنصري ؛ لتفادي غزوات الجنوبيين لها ، فقد اقامت نصباً قرب حدود النيل الجنوبية لمنع الزنوج من عبور هذا الحد . ويميل " زيدان عبد الباقي " لنسب هذا الادعاء لليهود [4].

يرى البعض أن التمييز العنصري بدأ بظاهرة العبودية في أمريكا التي كانت تتحامل ضد الأفارقة ،وتزامن معها ظهور العديد من الحركات المضادة للسود والملونين بشكل عام وارتكبت من جراء ذلك العديد من الجرائم [5].لكن ظاهرة التمييز العنصري في أمريكا بدأت مع اكتشاف القارة ،والحملات التي استخدمت للتخلص من الهنود الحمر السكان الأصليين قبل أن تظهر مع وجود استجلاب الزنوج لأمريكا .

---

(1)انظر سلوى عبد الباقي ، العصبيات القبلية في دولة حديثة ، دراسات نفسية، 1992 م ،ك 2،ج 2،ص 203-204 .

(2) عبير سهام مهدي ،مرجع سابق، ص34-35.

(3) زيدان عبد الباقي ، التفرقة العنصرية قديماً وحديثاً، مجلة كلية العلوم الاجتماعية ، 1980 م ،جامعة الإمام محمد بن سعود ،ص 201-205.

(4) زيدان عبد الباقي،مرجع سابق، ص 182.

(5) سلوى عبد الباقي، مرجع سابق، ص 203-204

والعنصرية ضد الزنوج كانت تفرق بين البيض والسود ،في التعليم والعمل وحتى في المواصلات العامة [1].

كذلك شجع الإنجليز حركات التمييز العنصري [2].فقد كانت إنجلترا إمبراطورية استعمارية،حتى منتصف القرن التاسع عشر، انكمشت نتيجة لحركات التحرر العالمي. وترتب على ذلك ظهور عدد من الدول العنصرية التي صنعتها ،مثال لها اتحاد جنوب أفريقيا،حيث حكمت القلة البيضاء الأغلبية السوداء لسنوات.كذلك هناك دولة روديسيا- التي سميت فيما بعد زيمبابوي - وهي دولة تقع في وسط أفريقيا ،وتشبه اتحاد جنوب أفريقيا في النظام والأهداف والتفرقة العنصرية . الدولتان يتكون النظام الحاكم فيهما من الاقلية البيضاء، ذات الأصل الإنجليزي.كذلك هناك دولة إسرائيل،وهي من مخلفات الاستعمار البريطاني،إلا أنها تختلف عن الدولتين السابقتين في اعتمادها على اليهود ،وفي قيامها على أساسين عنصري وديني.وتعتبر إسرائيل دولة عنصرية ليس بين اليهود وغيرهم من الأجناس الأخرى ،لكن حتى بين اليهود أنفسهم ، فيهود أوروبا البيض لهم سيادة من الدرجة الأولى ، يليهم اليهود الذين من قارات غير أوروبية، يليهم عرب فلسطين والمسحيين واليهود أصحاب الأرض [3].

وفي ألمانيا ظهرت النازية بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى وهي حركة تعلي من شأن الجنس الآري، وتحتقر كل الأجناس الأخرى [4].ارتبطت النازية بهتلر وتوليه السلطة ،و قامت النازية بشكل أساسي ضد الجنس السامي ،وتؤكد دراسات علماء الأجناس أن الشعب الألماني يتكون من الجنس النردي والألبي ،غير أن هتلر أعلن أن الألمان يتكونون من الجنس الجرماني ودعا إلى إقامة دولة ألمانية على أساس جنس واحد [5].

عرفت الإنسانية أيضاً التعصب الديني،وهو قديم قدم الإنسانية فما أرسل الله رسولاً لقومه إلا كانت هناك فئة تقف في وجه الدعوة ،تحاول المحافظة على دين الآباء والأجداد [6].وقد عُرّف التعصب الديني بأنه التزمت والغلو بعقيدة ،أو فكرة

(1) زيدان عبد الباقي مرجع ،سابق ، ص 214.

(2) سلوى عبد الباقي ،مرجع سابق، ص 203-204.

(3) زيدان عبد الباقي ،مرجع سابق ،ص 227-232.

(4) سلوى عبد الباقي، مرجع سابق ، ص 203-204.

(5) زيدان عبد الباقي، مرجع سابق ، ص 226.

(6) نصرة النور على ، مرجع سابق، 43-44.

دينية تؤدي للاستخفاف بآراء الآخرين ومعتقداتهم ومحاربتها [1]. وواحدة من صور التعصب الديني ،ما سمي بالحروب الصليبية التي اتجهت نحو الشرق الإسلامي بحجة حماية قبر السيد المسيح -عليه السلام - ،وبناء على ذلك مارسوا التخريب والقتل والتدمير والإبادة .

أما في الجزيرة العربية فقد ظهر شكل آخر للتعصب هو التعصب القبلي . والقبيلة هي وحدة سياسية اجتماعية عند العرب ،وهي مجموعة من الناس ينتمون إلى أصل واحد بينهم وحدة الدم [2]. وتتكون القبيلة من جماعات فرعية تسكن إقليماً مشتركاً ،ولها لهجة مميزة وثقافة متجانسة، ويجمعها إحساس قوي بالتضامن ، يستند إلى مجموعة من العواطف الأولية وهي أساس التعصب [3]. وقد استطاعت القبيلة من خلال هذه العصبية ،أن تتوحد وتحمي وتدعم بعضها على أساس العصبية حتى جاء الإسلام، وأكد أن البشر كلهم لآدم وآدم خلق من تراب [4].

يعتبر التعصب القومي من الأشكال التي عرفتها الإنسانية، وُيعرّف بأنه غلو في الوطنية. تعتبر القومية ونمو مشاعر الهوية الوطنية أحد أشكال التعصب وأحد أسبابه[5] . والقومية هي صلة اجتماعية تنشأ من الاشتراك في الجنس واللغة والتاريخ . انبعثت القومية بعد أن قام" لوثر " بحركته الدينية الإصلاحية ضد الكنيسة ،واستعان فيها ببني جنسه من الألمان فقويت العصبية القومية . وقد أدّت القومية لتأسيس دول مثل ألمانيا وإيطاليا .

عرفت الإنسانية أيضاً التعصب الطبقي والطائفي . وأوضح أشكال التعصب الطائفي ظهر في الهند ،منذ القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، ارتبط إلى حد ما بالدين، وتميزت فيه طائفة البراهمة،و يمجد هذا التعصب الجنس الآري . أما التعصب الطبقي، فيأتي نتيجة لشعور إحدى الطبقات أنها أرقى من الأخرى ،وبالتالي تحاول السيطرة على المصالح التي قد تكون اجتماعية أو اقتصادية و سياسية ، ويبقى الفرق واضحاً بين التعصب الطائفي والتعصب الطبقي .

(1) عبير سهام مهدي ، مرجع سابق ص 40.

(2) نصرة النور على ، 2011 : 30-31.

(3) سلوى عبد الباقي ، مرجع سابق ، ص 208

(4) نصرة النور ، مرجع سابق ، ص 30-31

(5) عبير سهام مهدي مرجع سابق ، ص 43

لا نستطيع فعلياً أن نتحدث عن التاريخ الذي ظهر فيه التعصب،في إطار التفاعل الإنساني، لكن من المؤكد أننا نستطيع تحديد أهم النتائج التي تترتب عليه .

فالتعصب يعتبر أحد مسببات التفكك الاجتماعي [1]. وغالباً يظهر التعصب في صورة سلوك، لأن أي اتجاه سلبي يميل للتعبير عن نفسه في صورة سلوك ظاهر، وكلما زادت حدّة الاتجاه التعصبي زاد احتمال ظهوره في صورة فعل عدائي [2]. كما أن الشكل الغالب الذي يظهر به التعصب هو العداوة والكراهية والنفور من أعضاء جماعة معينة ضد أخرى [3]. وبالتالي يعتبر التعصب مؤثراً على عملية التوافق يعوق عملية التواصل الاجتماعي ،وذلك لما يترتب عليه من عدوان وصراع [4].

هذا بعض ما ذكر في النتائج المترتبة على ظاهرة التعصب على المستوى الفردي والاجتماعي ،ويكفينا أن نقول إن أول من عبَّر عن هذه الظاهرة هو إبليس عندما قال لرب العالمين : چ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ چ [سورة الأعراف آية: 12] وهو يوضح أفضليته على آدم عليه السلام .هذا بمقياس إبليس،لا بمقياس رب العالمين،الذي يقوم بالتقوى والعبودية الحقة لله تعالى.

ثالثاً: التحليل النفسي الاجتماعي لظاهرة التعصب:

يعتبر التعصب موقفاًيتخذه الفرد مع أو ضد الأفراد أو الأشياء أو الأفكار أو المعتقدات ، ويترتب عليه سلوك . يتفاوت سلوك الأفراد تجاه هذا الموقف من خلال تفاوت رد فعل الأشخاص تجاه نفس الموقف . والسؤال هنا هل يرتبط وجود الموقف ورد الفعل بعملية التنشئة الاجتماعية ، وحقيقة أن أهم ما يكتسبه كل الأفراد

(1) معن خليل العمر ،علم اجتماع العنف ، دار الشروق للنشر والتوزيع، 2010 م ص 52.

(2) نصرة النور ، مرجع سابق ،ص 23.

(3) عبير سهام مهدي ، مرجع سابق ، ص 15.

(4) مُحَمَّد عبد النبي ، 2007مرجع سابق ، ص 225

من خلال انتمائهم لجماعة معينة ،هو تحديد معنى وخصائص " نحن" و "هم " ؟ . أم أن موقف التعصب وما يترتب عليه من سلوك هو نتاج لاختلال نمط الشخصية المرتبط باختلال مكوناتها الجسمية والانفعالية والعقلية والاجتماعية ؟ أم أن المحاولتين لا يخرجان عن اتجاه واحد هو تحليل أسباب اختلال السلوك بناء على السلوك المكتسب من البيئة الاجتماعية الثقافية ؟

التعصب والشخصية في التحليل النفسي:

***ما هي الشخصية؟ :**

اختلف العلماء في تعريف مفهوم الشخصية . البعض عرف الشخصية بأنها :" مجموعة من الصفات الجسمية والعقلية والانفعالية والاجتماعية ،تظهر لدى فرد معين خلال العلاقات الاجتماعية ،وهي تميزه عن غيره " . وعُرّفت أيضاً بأنها :" مجموعة من الصفات الجسدية والنفسية ،موروثة ومكتسبة والعادات والتقاليد والقيم والعواطف، متفاعلة مع بعضها ". وهي تعريفات تربط الجانبين الوراثي والمكتسب. عُرّفت الشخصية أيضاً على أنها :" مجموعة سلوكيات وأفكار ومعتقدات ودوافع وتوجهات وأساليب للتفكير والإحساس واتخاذ القرارات تميز الفرد وتكون ثابتة نسبياً" [1]. اكتفى التعريف هنا بالجوانب المكتسبة ما عدا الدوافع التي قد تكون فطرية ،كالجوع أو تكون اجتماعية ،كالدافع للنجاح.

عموماً يمكن القول إن الشخصية هي كل ما يميز الشخص عن الآخرين في الجوانب الجسمية والانفعالية والعقلية والاجتماعية . وهذا يعنى أن البناء الوظيفي للشخصية يتكون من أربعة مكونات أساسية مترابطة، هي :

- مكونات جسمية، تتعلق بالشكل العام، والصحة، والأداء الإدراكي .

(1) مأمون صالح ، الشخصية بناؤها تكوينها أنماطها اضطرابها ، دار أسامة، عمان، 2007 م ، ص 8 .

- مكونات عقلية معرفية، تتعلق بالذكاء والقدرات العقلية، وعمليات الإدراك والحفظ والتخيل والتفكير.
- مكونات انفعالية، وترتبط بالانفعالات ،كالكره والحب، والبهجة والغضب .
- مكونات اجتماعية، تتعلق بالتنشئة الاجتماعية في مؤسسات التنشئة المختلفة .

ويمكن القول إن أي نقص أو خلل في هذه المكونات يؤدي إلى اضطراب في البناء والأداء الوظيفي للشخصية [1].

ويلاحظ من خلال تعريف الشخصية ومكوناتها أنها تُعبر عن كل مكونات الشخص في كل جوانب حياته ، بما فيها السلوك وموجهاته من اتجاهات ومعايير وقيم . فهل الشخصية بكل مكوناتها هي سبب في وجود السلوك المتعصب؟أم أن السلوك وموجهاته التي يتم اكتسابها خلال عملية التنشئة الاجتماعية هي المفسر لوجود ظاهرة التعصب ؟

- المدارس النفسية وتفسير السلوك :

1. المدرسة السلوكية :

تعرف النظرية السلوكية الشخصية من خلال الأساليب السلوكية المتعلمة الثابتة نسبياً ،التي تميز الفرد عن غيره . ويرتبط هذا التصور بمفهوم أساسي هو التعود ، فما يتعود عليه الفرد هو الرابط بين المثير والاستجابة . وبالتالي إذا حاولنا فهم أسباب التعصب ،فإننا يجب أن نبحث عن الظروف التي أدّت لتكوين عادة التعصب أو تغييرها . وتؤكد النظرية على التعلم في اكتساب السلوك ،وارتباط ذلك بعمليات التدعيم والتعزيز التي تمارس تجاه هذا السلوك [2].

2. نظرية السمات :

تعرف الشخصية بأنها انتظام دينامي لمختلف السمات ، وتركز على تحديد السمة العامة المميزة للشخصية والتي تكمن خلف السلوك . السمة قد تكون موروثة أو اجتماعية مكتسبة ،لكنها تعتبر استعداداً للسلوك على نحو معين ،ووضع "ريموند كاتل " سمات ثنائية القطب مثلاً الاجتماعية (محب للناس وسهل العشرة) مقابل العدوانية (ناقد ومنسحب) . كذلك هناك سمات الثبات الانفعالي (قوة الأنا) ضد عدم الثبات الانفعالي (ضعف الأنا)[3].

---

(1) زهران 2005 : 73

(2) زهران ،2005م ص59.

(3) زهران، مرجع سابق ، ص57.

فهل يمكن اعتبار التعصب سمة من السمات ؟ لكن يظل السؤال هل هو سمة موروثة أم مكتسبة ؟

3. **نظرية التحليل النفسي** :

يرى "فرويد" أن النفس تتكون من ثلاث مكونات ،تتفاعل مع بعضها لتحدد نوع السلوك . فهناك "الهو " وهو منبع الطاقة الحيوية والنفسية، وتميل مدرسة التحليل النفسي لوصف " الهو " بحيث يعبر عن كل الغرائز والدوافع الفطرية ،التي تحتاج للإشباع والتي يزود بها الفرد منذ ميلاده . وأهم ما يميز هذا الجانب من الشخصية هو السعي للذة والابتعاد عن الألم . وهناك "الأنا " التي تمثل جزءاً من "الهو" أي جزء من الرغبات التي تحتاج للإشباع،لكنها نظمت من خلال المقبول من واقع المجتمع ، ويعتبر" الأنا" مركز الشعور والإحساس الداخلي والخارجي، وهو مشرف على الجهاز الحركي والإرادي ،ويدافع عن الشخصية، ويعمل على توافقها مع البيئة ،ويحل الصراع بين "الهو والأنا الأعلى " وينمو "الأنا" عن طريق الخبرات التربوية التي يمر بها الفرد . وهناك" الأنا الأعلى" الذي يعبر عن الضمير، أو عن جميع القيم الأخلاقية والتقاليد والعادات التي اكتسبها الفرد ،وأصبحت جزءاً من كيانه ،عن طريق عملية التنشئة الاجتماعية . ويعتبر " الأنا الأعلى " سلطة رقيبة على " الهو " [1] .

بناء على مدرسة التحليل النفسي، يتحرك السلوك لإشباع الغرائز الفطرية التي يعبر عنها "الهو" ويتدخل " الأنا الأعلى "- الذي هو الضمير المتكون من خلال العلاقة بالوالدين –على ضبط "الهو" وكف دفاعاته . غالباً يتدخل " الأنا" لحل الصراع بين الرغبات والضمير.

ومن الملاحظ أن المكونات الثلاث ة للنفس تتمثل في الرغبات والغرائز الفطرية النفس الاجتماعية المعبرة عن هذه الغرائز، لكن وفق تنظيم المجتمع ثم اخيراً الضمير الذي يتشكل من خلال العلاقة بين الطفل ووالديه ،ليعمل كرقيب على الرغبات والغرائز . ولا يحدث الاختلال إلا إذا نشب صراع بين الرغبات والنفس المكونة من خلال التفاعل الاجتماعي "فالأنا" حريص على الدفاع عن الشخصية وتوافقها. أما الصراع بين الرغبات والضمير فطبيعي من خلال الدور الاساسي

(1) مأمون صالح، مرجع سابق ، ص34 ، وأيضاً زهران، مرجع سابق، ص 60-61.

للضمير . وهذا يعني أن مدرسة التحليل النفسي ترجع الخلل الذي يحدث في الشخصية لفشل "الأنا" في حل الصراع بين الدوافع الفطرية والضمير. ونضيف أن الخلل الحقيقي يحدث اذا فشلت "الأنا" في كبح جماح " الهو".

4. **نظرية الذات** :

تعتبر الذات كينونة الفرد التي تتكون نتيجة للتفاعل مع البيئة ،و تنمو وتنفصل تدريجياً عن المجال الإدراكي . وتشتمل على ذات مدركة ، هي عبارة عن وصف الشخص لذاته كما يتصورها هو ، وذات اجتماعية ، وهي الصورة التي يتخيل أن الآخرين يتصورونها ،والتي يتمثلها من خلال التفاعل الاجتماعي ، وذات مثالية، وهي تعبر عن الصورة المثالية التي يود أن يكونها الشخص . تمتص الذات قيم الآخرين وتسعى للتوازن والتوافق والثبات وتنمو نتيجة للنضج والتعلم [1].

وتفسر نظرية الذات السلوك من خلال الخبرات العديدة التي يمر بها الفرد . والخبرة ما هي إلا موقف يعيشه الفرد، يؤثر فيه ويتأثر به ،ويحوله إلى رموز يدركها ويقيمها في ضوء مفهوم الذات . في الغالب تؤدي الخبرات التي تتفق مع مفهوم الذات لإنهاء التوتر، وإلى التوافق بعكس تلك التي لا تتفق مع مفهوم الذات والسلوك هو نشاط موجه نحو هدف محدد، وهو تحقيق إشباع لحاجات الشخص كما يخبرها في المجال الظاهري . ويعتبر المجال الظاهري حقيقياً كما يدركه الشخص من وجهة نظره[2] . وليس بالضرورة أن تكون حقيقية لغيره من الأشخاص فهناك قناع من الخبرات والمخاوف تؤثر على الإدراك وعلى تقييم الفرد لهذا المجال الظاهري . أخيراً من خلال كل ما سبق نخلص التالي:

(1) زهران ، مرجع سابق ، ص : 68-69

(2) زهران ، نفس المرجع السابق، ص70

- النظرية السلوكية تركز على البعد الاجتماعي في تشكيل السلوك ؛ فهو ينتج عن العادة المرتبطة بالتعلم.
- نظرية السمات تركز على السمة التي قد تكون مكتسبة أو موروثة.
- نظرية التحليل تركز على البعد الاجتماعي، فهو الذي يشكل "الأنا والأنا الأعلى" ولا يظهر اختلال الشخصية إلا من خلال الفشل الذي يحدث "للأنا أو للأنا الأعلى" في كبح جماح" الهو" .
- نظرية الذات تركز على بعد المجال الظاهري ، الذي يتحكم في سلوك الاشخاص ، لكن ادراك الأشخاص لهذا المجال الظاهري يتأثر بمجموعة من العوامل ترتبط في معظمها بالخبرات الاجتماعية .

يمكن أن نقول أن البعد الاجتماعي هو من أهم المؤثرات التي تشكل السلوك، وبالتالي يمكن تحليل ظاهرة التعصب في إطارها الاجتماعي بعيداً عن جانب العوامل الحيوية والوراثة.

التعصب والتنشئة الاجتماعية :

ما هي عملية التنشئة الاجتماعية ؟ :

تعرف التنشئة الاجتماعية بأنها العملية التي تكون شخصية الأفراد، بتحكمها في عمليات التعلم ،سواء في الجانب النفسي أو الاجتماعي والتي تبدأ مع إدراك الفرد للمثيرات المختلفة التي تحيط به . الاهتمام بعملية التنشئة الاجتماعية يدور حول العوامل التي تشكل الجانب الاجتماعي في شخصية الفرد . اختلف المفكرون في تعريف التنشئة الاجتماعية ، فقد عرفها" جيلد " بأنها "العملية التي يقاد بها الطفل الذي ولد بإمكانيات سلوكية عامة ،إلى تنمية سلوك حقيقي من خلال إطار ضيق ومحدود . ويعتبر هذا السلوك متقبل بناء على معايير الجماعة التي ينتمي اليها ". وعرفها " سيرز " "وماكوبي " و " ليفين" بأنها "تنمية السلوك الاجتماعي المناسب والنماذج الملائمة من التفاعل مع الآخرين ". وأياً كان تعريف عملية التنشئة الاجتماعية إلا أنها جميعاً تتفق في التالي :

- إن الطفل يولد بإمكانيات سلوكية .
- تعتبر عملية التنشئة الاجتماعية عملية تعلم منظمة .

- يتم خلال هذه العملية غرس القيم والمعايير والاتجاهات ونماذج السلوك .
- يترتب على هذه العملية فعالية في المشاركة الاجتماعية [1].

والتنشئة الاجتماعية هي عملية تعلم وتعليم، يشارك فيها الفرد والجماعة . يشارك الفرد بما هو عليه من تكوين بيولوجي ونفسي ، والجماعة بما توفره من ظروف مادية . وبهذا تتضمن عملية التنشئة الاجتماعية اكتساب التالي :

- القدرة على التكيف مع البيئة طبيعية واجتماعية وثقافية .
- القدرة على التفاعل وتكوين العلاقات .
- انماط السلوك والقيم والرموز الخاصة بالجماعة التي ينتمي إليها .
- المعرفة والمهارات اللازمة لشغل الأدوار [2].

وتؤدي عملية التنشئة لاكتساب القيم والمعايير والاتجاهات التي تعتبر من أهم موجهات السلوك الإنساني ،وهي على النحو التالي:

أ - **الاتجاهات :**

عُرّف الاتجاه تعريفات عديدة فقد عرفه " نيوكمب و تيرنر و كونفرس "بأنه "استعداد للسلوك بطريق معينة في ظل ظروف أو وضع معين . وبالتالي لا يعتبر سلوك الأفراد وليداً للصدفة، لكنه نتيجة للمعاني العاطفية والإدراكية التي اكتسبها الفرد خلال عملية التنشئة الاجتماعية ". وعرفه " البورت " بأنه "حالة استعداد عقلي وعصبي ،نظمت عن طريق الخبرات الشخصية ،وتعمل على توجيه استجابة الفرد نحو أو ضد الأشياء أو المواقف التي تتعلق بهذه الاستجابة ". كما عرفه " مورجان " بأنه "ميل استجابة الفرد نحو أو ضد موضوع أو شخص أو فكرة أو غيره ".من كل ما سبق يتضح أن الاتجاه هو استعداد لتقبل أو رفض فكرة أو موضوع ، وأنه نتاج لاكتساب معرفة أدّت لتولد عاطفة ،ينتج عنها سلوك موجه . والسلوك هو نتاج لحالة من التوتر، يمر بها الفرد، وتحتاج للإشباع ،فإذا أشبعت بطريقة معينة وأزالت التوتر دعم السلوك ،وأصبح الفرد ملتزماً بهذا السلوك، وبكل ما ارتبط به من ظروف محيطة [3].

---

(1) حنان أحمد مكاوي سليمان ، الأسرة وأثرها في بلورة الاتجاهات السياسية ، جامعة الخرطوم، 1993 م رسالة ماجستير غير منشورة ، ص 18-19.

(2) إبراهيم عثمان ، مقدمة في علم الاجتماع ، دار الشروق عمان ، 2007 م الطبعة الرابعة ، ص 182.

(3) حنان مكاوي ، مرجع سابق، 20-22.

تتميز الاتجاهات بأنها مكتسبة وليست موروثة ،وهي لا تتكون من فراغ بل تكتسب معناها من البيئة المحيطة ،ولها خاصية انفعالية ؛لأنها تتضمن جانبين معرفي يتمثل في معتقدات الفرد ، ووجداني يعبر عن الجوانب العاطفية . وتسمح الاتجاهات بالتنبؤ بفعل الأفراد الذين ينتمون إليها، وغالباً تغلب عليهم الذاتية أكثر من الموضوعية.وهي تحدد استجابات الأفراد للأشخاص والأشياء والموضوعات بطريقة تكاد تكون ثابتة ،وغالباً تتسم ردود الأفعال لما يتناقض معها بالعدوان نتيجة لإحباط الدوافع [1]. كل ما سبق يؤكد قوة العلاقة بين الاتجاهات والتعصب .

ب - المعايير :

تعرّف المعايير بأنها مفاهيم محملة بشحنة انفعالية ،و امتصاصها ناتج عن التأثر بها انفعالياً ،وهو ما يعطيها القوة الدافعة لتؤثر في سلوك الفرد . يبدأ تقمص المعايير للطفل لا شعورياً ويكون الخوف العامل المساعد على امتصاصها . يرتبط الخوف بعمليات الإحباط التي يقوم بها الأبو ان،والتي تدفع الطفل لتقمص،وامتصاص الكثير من اتجاهاتهم وقيمهم ونظرتهم للصواب والخطأ ،وهو يحاول إرضائهم . تصبح هذه المعايير لاحقا قوانين تضبط سلوك الفرد لا يرغب في الخروج عليها[2].

ت - القيم :

تعرّف القيم بأنها:" طريقة في الحياة ،أو في السلوك يعترف بها شخص أو جماعة على أنها مثال يحتذى، وتجعل هذه الطريقة من التصرفات أو من الأفراد الذين تنسب لهم أمراً مرغوباً فيه " . ولهذا تؤثر القيم في الأحكام التي يحملها الفرد للمجتمع ومؤسساته وأفراده . الانتماء لقيمة معينة لا يكون خلاصة للتفكير العقلي المنطقي فقط ،ولكنه يتأثر بالجانب العاطفي ويلعب الانفعال دوراً في قوة القيم، وتوجيهها لفعل الفرد والجماعات ،ويجعلها ثابته مقاومة للتغير . والقيم تلعب دوراً أساسياً في تحقيق التكامل بين اعضاء الجماعة؛ فهي غالبا ما تكون مشتركة ومن شروط الانتماء للجماعة[3].

خلاصة لما سبق، يمكن أن نقول إن الاتجاهات والقيم والمعايير تعبر عن الجماعة التي ينتمى إليها الفرد ،وبالتالي تعبر عن " نحن" بينما يصبح كل ما اختلف عنها يعبر عن الآخرين أو " هم " . وإن الفرد لا يكتسبها برؤية عقلية لكن تتدخل الجوانب النفسية لتدعم وجودها في ذاته، وتتحكم بذلك في سلوكه . وبالتالي، فإن الفرد عن

(1) أحمد على حبيب ، مرجع سابق، ص :96-101.

(2) حنان مكاوي ، مرجع سابق ص: 23.

(3) حنان مكاوي ، مرجع سابق ، ص: 23-24.

طريق عملية التنشئة الاجتماعية ،يتقبل كلما يعبر عما تعود عليه ويتخذ موقف مما تعود أنه لا يعبر عن جماعته .

ونخلص في هذا الجزء لتأييد الرؤية التي تفسر التعصب كظاهرة اجتماعية تفسرها عملية التنشئة الاجتماعية ،وبالتالي يُعرّف التعصب بأنه اتجاه مكتسب ومتعلم، ينمو مع نمو الفرد ويتخذ من الوالدين مصدراً لتحديد موضوعات التعصب [1].

ولا تختلف المدارس النفسية عن هذه الرؤية في بعضها . وتحتاج الرؤية التي تربط التعصب بنمط معين من الشخصيات أو تلحقه بالحيل الدفاعية، التي يستخدمها الفرد ليبعد عن نفسه مشاعر الذنب للمزيد من الدراسة ، فالفرد من خلال اكتساب الاتجاهات والقيم والمعايير يتعلم أن يتقبل فكرة أو أفراداً أو موضوعات ،ويحقق له هذا التقبل إشباعاً لحاجات أساسية لدرجة أنه قد يميل للعنف إذا تعذر إشباعها.

أهم النتائج التي توصلت إليها الورقة :

1 - يعتبر التعصب موقفاً يتخذه الفرد مع أو ضد أفكار أو أشخاص أو موضوعات ، وهو يتكون خلال عملية التنشئة الاجتماعية عن طريق امتصاص مواقف الناضجين حول الفرد.

2 - التعصب من الظواهر القديمة التي عرفتها الإنسانية بمختلف صورها ،وترتب عليها العديد من الحروب والصراعات .

3 - يعتبر التعصب من أخطر مهددات التكامل الثقافي والوحدة والتوافق النفسي، وبالتالي هو واحد من أهم مهددات استقرار المجتمع الإنساني .

4 - يحتاج التعصب كظاهرة للوقوف عليه ومعالجته، ويتطلب هذا الأمر الاعتراف بوجوده.

(1) أحمد حبيب ، مرجع سابق، ص :108